في مستهل سنة اربع وثلثين انه ورد الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم
ما تشعث منها والله اعلم واذا كان كذلك فيكون قد خرجوا من تكريت في بقية سنة اثنتين وثلثين
التي ولد فيها صلاح الدين او في سنة ثلاث وثلثين لانهما اقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر
دمشق وبعدها بعلبك واخذها رتب فيها نجم الدين ايوب وذلك في اوائل سنة اربع وثلثين كما
شرحته فيتعين ان يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقديرا والله اعلم قلت ثم اخبرني بعض اهل بيتهم
وقد سالته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من اهلنا يقولون انهم خرجوا منها في الليلة
التي ولد فيها صلاح الدين فتشاموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون
فكان كما قال والله اعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين
محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين ايوب خدمته وكذلك
صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين
يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في امور الجهاد
حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية كما سنشرحه ان شاء الله تعالى ووجدت في
بعض تواريخ المصريين ان شاور المقدم ذكره هرب من الديار المصرية من الملك المنصور ابي
الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية
وقهره واخذ مكانه في الوزارة كعادتهم في ذلك وقتل ولده الاكبر طي بن شاور فتوجه شاور الى الشام
مستغيثا بالملك العادل نور الدين ابي القاسم محمود بن زنكي وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين
وخمسماية ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة فوجه نور الدين معه الامير اسد
الدين شيركوه بن شادي في جماعة من عسكره وكان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وهو كاره
للسفر معهم وكان لنور الدين في ارسال هذا الجيش غرضان احدهما قضاء حق شاور لكونه قصده و
دخل عليه مستصرخا والثاني انه اراد استعلام احوال مصر فانه كان يبلغه انها ضعيفة من جهة الجند
واحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وامانته
فانتدبه لذلك وجعل اسد الدين شيركوه ابن اخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق
في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الامر في رجب من السنة قال شيخنا القاضي
بهاء الدين ابو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد المقدم ذكره في كتابه وسمه بسيرة صلاح الدين
انهم دخلوا مصر في شهر جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسماية والقول الاول اصح وان
الحافظ ابا طاهر السلفي ذكر في معجم السفر ان الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسماية
وذكر غيره فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الاخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة
رضي الله عنها بين القاهرة ومصر واحتزوا راسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هناك ثلاثة
ايام تاكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه قبة قلت والقبة الان باقية في موضعها
تحت الكبش المستجد بناؤه ورايت فيها جماعة من الفقراء الحوالقية مقيمين وقيل ان الضرغام قتل
عند قدوم اسد الدين وشاور الى مصر فلا يمكن ان يكون دخولهم مصر في سنة ثمان وخمسين لان
الضرغام لا خلاف في قتله في سنة تسع وخمسين وانه كان في اول وصولهم والحافظ السلفي خبير
بذلك لانه كان مقيما في البلاد وهو اضبط لهذه الامور من غيره لان هذا فنه وهو من اهله

الناس

الناس به ولما وصل اسد الدين وشاور الى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل
لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت اموره غدر باسد الدين شيركوه
واستنجد بالفرنج عليه وحصره في بلبيس وكان اسد الدين قد شاهد البلاد وعرف احوالها وانها
مملكة بغير رجال تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال فطمع فيها وعاد الى الشام في العشرين من ذي الحجة
سنة تسع وخمسين وقال شيخنا ابن شداد في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين
بناء على ما قرره اولا ان دخولهم البلاد كان في سنة ثمان وخمسين واقام اسد الدين بالشام مدة
مفكرا في تدبير عوده الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين الى سنة اثنتين
وستين وخمسماية وبلغ شاور مسيرته وطمعه في البلاد وتمكنهم منها عكسا كلها تبعثونه على استيصال
اهدائه وبلغ نور الدين واسد الدين مكاتبة شاور الفرنج وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية
ان يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز اسد الدين وانفذ معه نور الدين العساكر وصلاح
الدين في خدمة عمه اسد الدين وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسماية
فكان وصول اسد الدين مقارنا لوصول الفرنج اليها فاتفق مع شاور المصريون باجمعهم والفرنج
على اسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج من البلاد وانفصل اسد الدين
ايضا راجعا الى الشام وكان سبب عود الفرنج ان نور الدين جرد العساكر الى بلادهم واخذ المنيطرة
منهم في رجب من هذه السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها وكان سبب عود
اسد الدين الى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدائد وشاهدوه
من الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم من مصر وعاد الى الشام في بقية السنة
وقد انضاف الى شدة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الافرنج لعلمه بانهم قد كشفوها كما
كشفها وعرفوها كما عرفها فاقام في الشام على مضض وقلبه قلق والقضاء يقوده الى شيء قدر لغيره وهو لا يشعر
بذلك وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة الى الشام وقيل انه عاد في ثامن عشر شوال من السنة
والله اعلم ورايت في بعض المسودات التي بخطي ولا اعلم من اين نقلته ان اسد الدين لما طمع في الديار المصرية
توجه اليها في سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادي الغزلان وخرج عند اطفيح وكانت بينهم وقعة
الناس عند الاشمونين وتوجه صلاح الدين الى الاسكندرية فاحتمى بها وحاصرها شاور في جمادى
الاخرة من السنة ثم عاد اسد الدين من جهة الصعيد الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وارسلوا
له صلاح الدين فساروا الى الشام ثم ان اسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن شداد وكان
سبب ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين بجميع ما استقر
مع المصريين واسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك اسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون ان
سارعا الى قصد البلاد اما نور الدين فبالمال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج
ولانه كان قد حدث له نظر الجانب الموصل بسبب وفاة علي بن بكتكين قلت هو زين الدين والد
السلطان مظفر الدين كوكبري صاحب اربل وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبري قال فانه توفي
في ذي الحجة سنة ثلث وستين وخمسماية وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين
اتابك ما عدا اربل فانها كانت له من اتابك زنكي واما اسد الدين فبنفسه وماله واخوته
واهله ورجاله ولقد قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت اكره الناس للخروج في هذه